ى و التشوق الى الكمال و يحصل به ثبات الجسم في حياته بانفاسه و حركته بالارادة و احساسه و غذائه
الامور مشتركة بينه و بين غيره ليست كمالات له من حيث انه انسان انما هي كمالات الجسم مطلقا
او للجسم النامي او الحيوان و انما يتميز الانسان عن غيره الامور المشاركة اياه فيما ذكرنا اعني
من القوة النطقية التي هي كمال له لا لا لمشارك اياه و ما يتبعها من الكمالات الثانية التي بها يفضل
افراد بعضها على بعض من تعقل اي استعداده لادراك المعقولات و العلوم الحقة و رتبة
الحاصلة له باستعمال الحواس و ادراك المحسوسات و التنبه لما بينها من المشاركات و المباينات
و اهليته للنظر و الاستدلال و ترقيه بذلك في درجات الكمال و علمه بما امكن او استحال فان
كماله الاشرف الاعلى انما هو تعقل المعقولات الاولى و اكتساب المجهولات منها و ان كانت الاخلاق
الحسنة التابعة للاعمال الصالحة كمالا له تعتد به ايضا لكن الكمالات العلمية ارفع و اسنى اذ لا كمال
له كمعرفته تعالى و العلوم متشعبة متكثرة و الاحاطة بجملتها متعسرة او متعذرة فلذلك للتعسر
الاحاطة بل تعذرها افترق اهل العلم زبرا فرقا و تقطعوا اي تقسموا امرهم بينهم زبرا بفتح الباء
جمع زبرة وهي القطعة من الحديد و نحوها و بضمها جمع زبور بمعنى الكتاب اي اخذ و امر العلم و قطعهم
اياه فيما بينهم قطعا مختلفة او كتبا شتى و تبدد ايراء ابراهيم فيه من متقول متقولك الاسنان و متقول
متباين الاطراف و فروع منده [illegible] الجيوب و اصول متشابكة العروق و تفاوتت عطف على افترق
حالاتهم في اكتساب العلوم و تفاضل درجاتهم في الترقي الى مراتبها الى ان قال ابن عباس في درجاتهم انها
خمسمائة درجة ما بين الدرجتين من تلك الدرج مسيرة خمسمائة عام والمراد تصوير الكثرة لا الحصر
في هذه العدة و قال بعض اكابر الائمة و احبار الامة الحبر بالكسر و الشيخ العالم الذي يحبر الكلام
و يزينه في بيان معنى الخبر المشهور و الحديث المأثور المروي من اثر الحديث اذا ذكره عن
غيره اختلاف امتي رحمة عطف بيان للخبر و قوله يعني اي يريد الرسول باختلاف امته
اختلافهم في العلوم متقولة تلك البعض و ما بعده تفصيل لذلك الاختلاف اعني قوله
فهمته واحد في الفقه لضبط الاحكام المتعلقة بالاعمال وهمة اخر في الكلام لحفظ العقائد ينتظم
بهما امر المعاد و قانون العدل المستقيم للنوع كما اختلفت همم اصحاب الحرف و الصناعات ليقوم
كل واحد منهم بحرفة او صناعة فيتم النظام في المعاش المحض لذلك الانتظام و هذا الاختلاف
ايضا رحمة كما لا يخفى لكنه مذكور هاهنا تبعا و تنظيرا و اذا كان الامر على ما ذكر من تعذر الاحاطة
بجملة العلوم فان الواجب على العاقل الاشتغال بالاهم و ما الفائدة فيه اتم هذا كما ذكر وان

اربع

ارفع العلوم رتبة و منقبة اي اعلاها فضيلة و درجة و انفعها فائدة و عائدة اي اجداها عائدة
و اجراها اي اجدرها بعقد الهمة بها و الباء للتعدية يقال التي عليه شراكه اي نفسه
بالكلية حرصا و محبة و هي في الاصل بمعنى الاثقال جمع ثقل [illegible] و ان النفس القابلة فيها
و تعويدها بها و صرف الزمان اليها علم الكلام المتكفل باثبات الصانع و توحيده في الالوهية
و تنزيهه عن مشابهة الاجسام و ذلك الاعراض اذ لا يتوهم مشابهته اياها و اتصافه بصفات الجلال
و الاكرام اي صفات العظمة و الاحسان الى المخلصين من عباده او بالصفات السلبية و الثبوتية
او القهر و اللطف و اثبات النبوة التي هي اساس الاسلام بل لا مرتبة اشرف منها بعد الالوهية
و عليه مبني الشرائع و الاحكام اي و على علم الكلام بناء العلوم الشرعية و الاحكام الفقهية اذ
لولا ثبوت الصانع بصفاته لم يتصور علم التفسير و الحديث و لا علم الفقه و اصوله و به يترقى
في الايمان باليوم الاخر من درجة التقليد الى درجة الايقان و ذلك الايقان هو السبب والهداية
و النجاح في الدنيا و الفوز و الفلاح في العقبى فوجب ان يعتني بهذا العلم كل الاعتناء و انه
في زماننا هذا اخذ ظهريا اي امرا منسيا قد القي وراء الظهر و صار طلبه عند الاكثرين شيئا
فريا بديعا عجيبا و قيل مصنوعا مختلقا لم يبق منه من علم الكلام بين الناس الا قليل و مطمح
نظر من يشتغل به على الندرة قال و قيل هما لغتان و المعنى ان منتهى ما يرتفع اليه نظر من
يشتغل به نادرا هو النقل عن شخص معين او مجهول من غير التفات الى دراية و استبصار في
[illegible] و انه يوجب علينا ان نرغب طلبة زماننا في طلب الذي تبقى و نسلك بهم في هذا العلم مسالك
التحقيق و اني قد طالعت ما وقع الي من الكتب المصنفة في هذا الفن فلم ار فيها ما فيه شفاء الغليل
بامراض الاهواء في الاراء او [illegible] الغليل حرارة العطش تعقد المطالب
الاعتقادية و الشوق اليها و في الصحاح ان الرواء بالمد [illegible] الماء العذب و كثرها جمع
ريان و يغنيه المنظر الحسن سيما خذف منه كلمة لا لكثرة الاستعمال و الحالة الحالية اعني قوله
و الهمم القاصرة مائلة بالطرق نظرا الى قرب الحال من طرف الزمان فتح و توعه صلة لما وهذا
من قبيل الميل الى المعنى و الاعراض عما يقتضيه اللفظ بظاهره اي انتفى حصول الشفاء و الارواء
عن تلك الكتب في كل زمان لا يشك انتفاؤه في زمان قصور الهمم فان هذا الانتفاء اقوى و الرغبات
في تحصيل [illegible] الا داعي اليه قليلة و الصوارف عنه متكاثرة ثم انه بين ما اجمله من حال تلك
الكتب بقوله المختصر انها قاصرة عن افادة المرام باختصارها المخل و المطول [illegible] مع الاسام

Copyright@King Saud University